

الحلقة الرابعة والسبعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تعلم مستمعي أن الله خالق هذا الكون المدهش الرائع، وخالقنا نحن البشر، قد بدأ بالتعامل مع الإنسان منذ القديم؟ وأن إحدى أهم معاملاته معه هو أنه أقام عهداً مع الإنسان؟ وهل تعلم أنه يوجد عهدان أقامهما الله مع الإنسان؟ وهما ما نطلق عليهما بالعهد القديم والعهد الجديد.

وكان الله قد أقام العهد القديم مع الشعب العبراني عن طريق كليمة النبي موسى. إذ أعطاه الشريعة التي تضمنت الوصايا العشر وكل الشرائع المرافقة لها. وكان هذا العهد الذي أقامه الله قديماً هو عهد شرطي، فإذا التزم الشعب بهذا العهد باركه الله، أما إذا خالفه فسقط عليه الدينونة. أما العهد الجديد فقد بدأه وخطّه المخلص يسوع المسيح، وهو عهد غير شرطي.

ولكي نوضح ما نريد قوله لابد لنا أن نعود إلى الإنجيل المقدس، ونقرأ عليك هذه الحادثة التي حصلت مع المخلص المسيح وتلاميذه: «وفي أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له: «أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح؟» فقال: «اذهبوا إلى المدينة، إلى فلان وقولوا له: المعلم يقول: إن وقتي قريب. عندك اصنع الفصح مع تلاميذي». ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح. ولما كان المساء اتكأ مع الاثني عشر. وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ وقال: «خذوا كلوا. هذا هو جسدي». وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا. وأقول لكم: إنني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي» (بشارة متى ٢٦: ١٧-١٩، ٢٦-٢٩). سنتأمل الآن بهذه الحادثة الهامة فابقوا معنا.

صديقي المستمع، كان اليهود يحتفلون كل سنة بعيد الفصح أو عيد العبور. وهذا العيد هو ذكرى الليلة التي تحرّر فيها بنو إسرائيل قديماً من مصر، عندما عبر ملاك الله عن البيوت التي عليها علامة دم الحمل، وقتل جميع أبقار مصر في البيوت التي لم تكن عليها تلك العلامة. وعندها سمح له الملك فرعون بالخروج.

وكان يجب أن يأتي إلى أورشليم في هذا العيد كل الذكور فوق اثنتي عشر سنة، ولهذا كانت تمتلئ المدينة بمئات الألوف من الناس. وكان يعقب عيد الفصح، عيد من سبعة أيام هو عيد الفطير، تذكراً لخروج بني إسرائيل السريع من مصر، إذ لم يكن لديهم الوقت ليختم العجين فخبزه وأكلوه بدون خمير. وكان اليهود يجتمعون في ليلة عيد الفصح ليأكلوا وليمة الفصح، التي كانت تشتمل على الحمل (أي الخروف الصغير)، والخمر، وأعشار مرّة وخبز الفطير. وكانت الأعشاب المرّة تشير إلى مرارة العبودية في مصر. وكما سمعنا فقد طلب المخلص المسيح من تلاميذه أن يهيئوا المكان للاحتفال بعيد الفصح.

ولنلاحظ أن المخلص المسيح قال لتلاميذه: «أذهبوا إلى المدينة، إلى فلان وفولوا له: المعلم يقول: إن وقتي قريب. عندك أصنع الفصح مع تلاميذي». أي أن المسيح كان عالماً أن وقت موته الكفاري على الصليب قد اقترب، وأن هذا سيكون الفصح الأخير بالنسبة له. ولهذا كان عليه أن يعلن لهم وفي تلك الليلة حقيقة جديدة هامة. إذ وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: «خذوا كلوا. هذا هو جسدي». فماذا قصد المسيح بهذا الكلام؟ إن تناولهم هذا الخبز المكسور سيشير من الآن فصاعداً إلى جسده الذي سيعلق ويكسر على الصليب. أي أن أكلهم لهذا الخبز هو مجرد إشارة لموته الكفاري وليس أكلاً حرفياً لجسده. ثم أخذ المسيح كأس الخمر وشكر وأعطاهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا». وهنا أيضاً إن شربهم للخمر هو مجرد إشارة إلى العهد الجديد الذي سيقمه المسيح، وإلى دمه الذي سيسفكه على الصليب من أجل كثيرين لغفران الخطايا.

مستمعي الكريم، لم يكن صدفة أن يعلن المخلص المسيح بدء عهده الجديد وفي ليلة عيد الفصح. لأن الفصح الذي كان يُذبح فيه الحمل بلا عيب نيابة عن الشعب، كان يشير في نفس الوقت إلى الذبيحة الكاملة والنهائية عن الخطية التي سيقدّمها المسيح نفسه، حمل الله القدوس الكامل على الصليب. وكما تحرّر الشعب قديماً من العبودية عن طريق ذبحه للحمل، ووضع دمه على الأبواب، هكذا يخلص اليوم وينال الغفران عن خطايه، كل من يؤمن بذبحة المسيح الكاملة، وبدمه المسفوك من أجله على الصليب. ألم يقل يوحنا المعمدان النبي يحيى عن المسيح: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!» (بشارة يوحنا ١: ٢٩).

وكذلك كان العهد القديم الذي أعطاه الله لكليمه النبي موسى يتضمن أيضاً ممارسة تقديم الذبائح. فكان على الناس أن يقدموا الذبائح الحيوانية من خلال الكاهن تكفيراً لخطاياهم. وبذلك كان العهد القديم أيضاً صورة للعهد الجديد الذي سيقمه الرب يسوع المسيح، من خلال تقديم جسده وسفكه لدمه على الصليب.

ولقد تنبأ النبي إرميا عن هذا العهد الجديد قائلاً: «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُودَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لِأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ» (إرميا ٣١: ٣١-٣٢). أجل، لقد نقض شعب إسرائيل في القديم العهد الذي أقامه الله معهم ولهذا رفضهم. وكان لا بدّ لله أن يقيم عهداً جديداً من خلال المسيح وموته الكفاري على الصليب، مع كل الناس الذين سيؤمنون بالمسيح، وليس مع بيت إسرائيل فقط. ولهذا قال المسيح: إن هذا العهد الجديد سيكون «مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفَرَةِ الْخَطَايَا».

إن هدف هذا العهد الجديد إذن هو مغفرة الخطايا لكل من يؤمن. وهو عهد غير شرطي. أي على الإنسان أن يؤمن فقط، فيغفر الله خطاياهم، ويجعله من أولاده، ويضمن له الحياة الأبدية. فهل تراك مستمعي تؤمن بالمخلص المسيح الذي قدّم جسده وسفك دمه من أجلك على الصليب؟ وهكذا تدخل في عهد الله الأبدي الجديد؟